التنغيم وأثره في توجيه الدلالة عند الفرّاء في كتابه (معاني القرآن)

دراسة تحليلية تطبيقية لنماذج مختارة من القرآن الكريم

فاطمة علي سالم بريني .

كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية – الجامعة الأسمرية الإسلامية – ليبيا

fasmb86@gmail.com

الملخّص :

الفونيمات فوق التركيبية (الثانوية) ملامح صوتية تُصاحِب الكلمات المتَّصِلة أو الجُمل، فتؤدّي وظيفةً دلالية ، ومن أهم هذه الملامح : التنغيم ، فقد عُدَّ من الملامح أو الظواهر الصوتية المهمة التي تُساعد في تحديد المعنى ، ويرصد هذا البحث تعريفاً لهذا الفونيم (التنغيم)، و صُوَره، ووظيفته في لغتنا العربية ، ويبيّن أثره في توجيه الدلالة عند الْفَرَّاء في كتابه (مَعانِي القرآن) ، وكيف اتخذه الفرّاءُ أسلوباً أو منهجاً صوتياً لتفسير الكثير من المسائل النحوية ، ولبيان الدلالات المختلفة للبنية التركيبية الواحدة من خلال تنوّع أنماطها التنغيمية وطريقة أدائها .

الكلمات المفتاحية: التنغيم – نغمة صاعِدة – نغمة هابِطة – وظيفة نحوية – وظيفة دلالية –توجيه الدلالة.

Intonation and its Effect in Directing The Meaning According to Al-Farra in his book (Meanings of the Qur'an)

An applied analytical study of selected axampls from the Holy Qur'an

Fatima Ali Salem Briny

Faculty of Arabic Language and Islamic Studies, Alasmarya Islamic University, Libya

Abstract : Suprasegmental phonemes (secondary) are phonetic features that accompany connected words or sentences ,performing a semantic function .Among the most important of these features is intonation, which has been considered one of the important phonetic features or phenomena that help in determining meaning .This research provides a definition of this phoneme (intonation) ,its forms, and its function in our Arabic language. It also shows its effect on guiding meaning in Al-Farra`s book (Meanings of the Qur`an), and how Al-Farra adopted it as a phonetic style or method to interpret many grammatical issues and to clarify the different meanings of the same syntactic structure through the diversity of its intonational patterns and the method of its performance.

Keywords: Intonation- Rising tone- Falling tone- Grammatical function – Semantic function- Guiding meaning.

المقدمة :

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، والصلاة والسلام على الهادي الأمين ، المبعوث بالحق المبين محمد وآله وصحبه أجمعين .

وبعد... تُصنَّف الفونيمات إلى: فونيمات أساسية، و فونيمات ثانوية ، يُقصّد بالأولى الوحدات الصوتية التي تكوِّن بنية الكلمة ، والثانية يُقصَد بها الظواهر الصوتية التي تكسو المنطوق ، فهي مرتبطة بالأداء النطقي وسياقه ، وتؤدّي دوراً تمييزياً على مستوى المنطوق ، أي تصاحب الجُمل ويتوقّف عليها المعنى في كثير من السياقات ، ومن هذه الظواهر : (التنغيم) الذي يُكسِب المنطوق دلالة ما ، وهو ليس جزءاً من بنيته وتركيبه ؛ بل يكسوه ويرتبط بأدائه ، فيؤدي وظيفة (صوتية ، ونحوية ، ودلالية) ، وفي هذا البحث يطيب لي التحدّث عن هذه الظاهرة أو الفونيم فوق التركيبي (التنغيم) تحت عنوان : (التنغيم وأثره في توجيه الدلالة عند الفرّاء في كتابه " معاني القرآن ") دراسة تحليلية تطبيقية لنماذج مختارة من القرآن الكريم، وقد قسّمته على النحو الآتي :

المبحث الأول : مفهوم التنغيم وصوره و وظائفه .

المطلب الأول : مفهوم التنغيم .

المطلب الثاني : صور التنغيم .

المطلب الثالث : وظائف التنغيم .

المبحث الثاني :الفرّاء وكتابه (معاني القرآن) وأثر التنغيم في توجيه الدلالة في هذا الكتاب .

المطلب الأول : ترجمة للفرّاء .

المطلب الثاني : كتاب (معاني القرآن).

المطلب الثالث : أثر التنغيم في توجيه الدلالة عند الفرّاء في كتابه (معاني القرآن).

الخاتمة . وقائمة المصادر والمراجع .

المبحث الأول : مفهوم التنغيم وصوره و وظائفه:

المطلب الأول : مفهوم التنغيم .

عرّفه كمال بشر بقوله :(هو موسيقى الكلام)[1]، فالكلام عنده لابد أن تكسوه ألوان موسيقية تظهر في صورة ارتفاعات وانخفاضات أو تنويعات صوتية مراعاة للظرف المؤدّى فيه ،أي هو تغيرات تنتاب صوتَ المتكلم من صعود إلى هبوط ، ومن هبوط إلي صعود ؛ لبيان مشاعر الغضب والفرح ،والنفي والإثبات ،والتهكم والاستهزاء والاستغراب[2] ، فالكلام لا يُلقى على مستوى واحد بحال من الأحوال[3] ، أو هو تنوّع الأداء للعبارة حسب المقام المقول فيه[4].

[1] – ينظر: بشر. كمال ،علم الأصوات ، ص533

[2]– ينظر:العطية ،خليل إبراهيم ،في البحث الصوتي عند العرب ،ص 63.

[3] المرجع نفسه ،ص533.

[4] – نجا ،إبراهيم محمد ،التجويد والأصوات ،ص90.

فالتنغيم مصطلح صوتي يدلّ على الارتفاع والانخفاض في درجة الجهر في الكلام؛ للدلالة على المعاني المختلفة للجملة الواحدة ،ويرجع التغيّر في درجة الصوت إلى التغير في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين ، فذبذبة الوترين هي التي تُحدث نغمة موسيقية .[1]

وارتفاع الصوت وانخفاضه في أثناء الكلام يعني تغييراً في الأداء ،ويكون ذلك للدلالة على المعاني المتنوعة في الجملة الواحدة ،فنغمات الكلام دائما في تغيّر من أداء إلى آخر ومن موقف إلى موقف آخر ، ومن حالة نفسية إلى أخرى [2]، فالتنغيم ظاهرة صوتية تساعد في تحديد المعنى ؛لأن تغيّر النغمة يتبعه تغير في الدلالة ،وتختلف هذه الدلالة من سياق إلى آخر .

فالتنغيم من الحقائق الصوتية في كثير من اللغات، وهو يرتبط بارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء نطق الكلام ؛ بسبب درجة توتّر الوترين الصوتيين مما يؤدي إلى اختلاف الوقع السمعي؛ ولذا نجد كلمات كثيرة تتعدد طرق تنغيمها لتؤدي وظائف دلالية مختلفة [3].

التنغيم في العربية[4] يصف الجمل وأجزاء الجمل، وليس الكلمات المختلفة المنعزلة، باستثناء كلمتين اثنين هما : نعم و لا، فهاتان الكلمتان يتغير معناهما بتغير التنغيم، فقد يكون التنغيم بكلمة (نعم)–مثلاً – دالا على الموافقة للكلام المسموع ،وعليه يكون معنى هذه الكلمة بطريقة التنغيم الدال على الموافقة:أوافق، وقد يكون التنغيم دالا على الموافقة بتحفّظ ،فيكون المعنى :أوافق؛ ولكن ،وقد يكون التنغيم لها دالا على السؤال ،فيكون المعنى :ماذا ؟وقد يكون دالا على الرفض فيكون معناها :أرفض ،ويمكن أن يكون دالا على الاستهزاء .[5]

[1]– السعران ، محمود ،علم اللغة ، ص 159–160. حسان ،تمام ،مناهج البحث في اللغة ،ص164. عبد التواب ، رمضان ، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص 106 . الموسوي ، مناف مهدي ، علم الأصوات اللغوية ،ص 134 .

[2] – ينظر: بشر ،كمال ،علم الأصوات ،ص 533 .

[3] – ينظر : حجازي ، محمود فهمي ، مدخل إلى علم اللغة ، ص 82 .

[4] –التنغيم في اللغات النغمية يكون في الكلمة كما في الجملة ،فيتغير معنى الكلمة بتغير هيئة التنغيم وليس بتغير موقعه ،واللغة العربية ليست لغة نغمية ، ينظر :استيتية ،سمير ،اللسانيات ،ص488 .

[5] –ينظر :استيتية ، سمير ، اللسانيات ،ص488 .

فالتنغيم يعطي الجُمل روحاً ويكسبها معنى ، ولا يكون التنغيم في الجمل إلا لمعنى [1]،فهو من أهم عوامل توضيح المعاني وتفسيرها، وتمييز أشكال الكلام بعضها من بعض ، فالجملة الواحدة يتعدد معناها بتعدد صور نطقها وكيفية التعدد في موسيقاها ، مثلاً في قولنا : يا الله !

فقد تعني هذه العبارة الدهشة أو التحسّر أو عدم الرضا أو الزجر ...إلخ ، على حسب الحالة المعينة ، وكذلك قولنا : يا سلام ! فهذه الجملة تُقال بنغمات متعددة وتبعاً لذلك يتغير معناها النحوي والدلالي بين الاستفهام والتوكيد والإثبات لمعانٍ مثل : الفرح والشك والتأنيب والاعتراض والتحقير وغيرها ، ويمكن إدراك هذه المعاني وغيرها من خلال لون الموسيقى التي تصاحبها عند النطق في كل حالة ، والذي تسبب عنه تباينُ هذه المعاني ؛لأن هذه الجملة لم تتعرّض لتغيّر في بنيتها ولم يُضف إليها أو يُستَخرج منها شيء ، ولم يتغيّر فيها إلا التنغيم وما قد يُصاحبه من تغييرات الملامح وأعضاء الجسم مما يُعدّ من القرائن الحالية[2] ، وأيضاً عبارة : يا ولد ، قد تعني مجرد النداء، أو التشجيع أو المداعبة أو الزجر ...إلخ ، وما كان ذلك إلا بفضل نغماتها المختلفة في كل حالة [3] ، فالتنغيم هو الهيئة اللحنية التي تؤديها المعاني المختلفة ،فالنداء له هيئة لحنية معينة ، والزجر له هيئة لحنية أخرى ، والتحسّر له هيئة لحنية أخرى ، وهكذا .

وهذه المعاني هي معان نفسية لغوية، يُقصد منها أنْ تُحدث لدى المخاطب أثراً نفسيّاً إلى جانب المعنى الذي تؤديه الجملة من الناحية اللغوية التركيبية .

المطلب الثاني : صور التنغيم .

النغمات لها مدى من حيث الارتفاع والانخفاض، فعندما ترتفع درجة التلوين الموسيقي نحصل على تنغيم مرتفع ، وعندما تنخفض هذه الدرجة نحصل على تنغيم منخفض، وإذا لزمت هذه الدرجة مستوى واحداً نحصل على نغمة مستوية .[4]

[1] – ينظر: عمايرة، خليل أحمد ، في نحو اللغة وتراكيبها ،ص172.

[2] – ينظر : حسان ، تمام ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 228 .

[3] ينظر : بشر، كمال ، علم الأصوات ،ص 534.

[4] –ينظر : بشر ، كمال ،علم الأصوات ، ص 533–534

فالتنغيم مع اختلاف صوره وامكاناته حُصرت نغماته الرئيسية في نغمتين اثنتين ؛ولكنّ ذلك بالنسبة إلى نهاياتها فقط ،أما إطارهما الداخلي ينتظم فيه عدد من التنويعات الجزئية الكثيرة ،فحُسبان النغمات اثنتين فقط إنما هو بالنظر إلى النهاية لا إلى الوحدات الداخلية المتناثرة في منطوق معين .[1]

1- النغمة الهابطة: تسمى بالهابطة ؛ لأنها تُوصَف بالهبوط في نهايتها على الرغم مما قد ينتظم في داخلها من تلوينات جزئية ،وللنغمة الهابطة أمثلة كثيرة تظهر بشكل خاص في [2]:

*-الجمل التقريرية :ويقصَد بها الجمل التامة ذات المعنى الكامل غير المعلّق ،نحو: محمدٌ في المسجد .

*-الجمل الاستفهامية بأدوات خاصة :وهي التي تحتوي على أداة استفهام ،نحو: أين محمد ؟

*-الجمل الطلبية :وهي التي تحتوي على فعل أمر أو نحوه ،نحو : اكتبْ الدرس .

2- النغمة الصاعدة: تسمى بذلك ؛لأنها تُوصف بالصعود في نهايتها ،على الرغم من تنوّع أمثلتها الجزئية الداخلية ،ومن أمثلتها [3]:

*-الجمل الاستفهامية التي تتطلب الإجابة بنعم أو لا ، نحو : محمدٌ في المسجد؟ أو التي تحتوي على أداة الاستفهام (الهمزة – هل)، نحو: هل محمد في المسجد ؟

فهاتان الجملتان تحملان معنىً واحداً وهو السؤال عن وجود محمد في المسجد ، الجملة الأولى : مصدّرة بأداة استفهام جرياً على قواعد اللغة العربية في بناء جملة الاستفهام ، والثانية : خالية من أداة الاستفهام تتخذ من التنغيم استبدالاً لها [4]، فالتنغيم أغنى عن أداة الاستفهام .

[1] ينظر : المرجع نفسه ، ص534.

[2] ينظر: المرجع نفسه ، ص535-536.

[3] ينظر : المرجع نفسه ،ص 536-537.

[4] – ينظر: حسين ، وليد ، الظواهر الصوتية فوق التركيبية في العربية ، ص 657 .

*–الجمل المعلّقة : وهي الجمل غير التامة ؛لارتباطها بما بعدها ،ويكون ذلك بشكل خاص في الجزء الأول من الجمل الشرطية ،نحو : إذا التقينا، نتحدث . أي الوقوف على الشرط قبل الدخول في جوابه ،ويُستدل على ذلك في الكتابة العادية بوضع الفاصلة (،) بعد جملة الشرط .

قد تظهر النغمتان الهابطة والصاعدة معاً في جملة واحدة (منطوق واحد) ،كما في المثال السابق (جملة الشرط عند النطق بها كاملة بفعل الشرط وجوابه) ، وأيضاً عند العد المستمر الذي يُشعر بارتباط السابق باللاحق ثم الانتهاء عند عدد معين ،نحو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة .[1]

فالنغمات الجزئية الداخلية صاعدة عند نهاية الأعداد الثلاثة الأولى ؛ لعدم تمام الكلام ولتعلّقها بما بعدها ، أما في النهاية فهي هابطة لانتهاء الكلام ، ويُستدل على ذلك في الكتابة العادية بالفواصل – لتدلّ على عدم تمام الكلام –وبالنقطة في النهاية لتدلّ على تمام المنطوق مبنى ومعنى .[2]

–النغمة المستوية : وهي تظهر في الجمل الإخبارية الاعتيادية .

التنغيم نمط صوتي لأداء الجمل والعبارات معبّر ومرتبط بالمقام ،ومن ذلك مثلا : الجملة الخبرية لفظاً ومعنى لها أداؤها وقالبها الصوتي الأدائي ، والخبرية لفظاً الإنشائية معنى "الاستفهام الخبري " لها أداؤها وأسلوب ونمط تأدية خاص بها ، ومقام التعجب والاستنكار يخالف مقام الإعجاب والإشادة والإكبار.[3]

فإذا نُطقت جملة (ليلى جميلة) بنغمة مستوية دلّت على الإخبار عن جمال (ليلى) ، أما إذا استُبدلت بالنغمة المستوية نغمة صاعدة تحوّلت دلالة الجملة إلى الاستفهام أو التعجب ، وإذا نُطقت بنغمة مستوية هابطة لدلّت على السخرية .[4]

المطلب الثالث : وظائف التنغيم

[1] –ينظر :بشر، كمال ،علم الأصوات ،ص 538 .

[2] –ينظر :بشر ، كمال ، علم الأصوات ،ص 538 .

[3] –ينظر : الفيومي ،أحمد عبد التواب ، علم الأصوات اللغوية ،ص83 .

[4]– ينظر: حسين ، وليد ، الظواهر الصوتية فوق التركيبية في العربية ،ص 657 .

للتنغيم وظائف متنوعة في التحليل اللغوي وفي عملية التواصل الاجتماعي بين المتكلمين، من هذه الوظائف :

1-الوظيفة النحوية (التركيبية):

هذه الوظيفة تعدّ الوظيفةَ الهامة والغالبة للتنغيم، حيث يقوم التنغيم بدور يشبه دور الترقيم في الكتابة، مع استخدام كثير للتقابلات ، فتخصيص الجملة والتقابل بين البنيات النحوية من قبيل الاستفهامات والأخبار تتم بواسطة التنغيم [1]، فهو يمثل العامل الفاعل في التمييز بين أنماط التركيب ، والتفريق بين أجناسها النحوية ، فالتنغيم بأنماطه المتنوعة عامل مهم في بيان أنّ المنطوق مكتمل في مبناه ومعناه أو غير مكتمل ، ويظهر ذلك بوضوح في الجمل الشرطية كما في : إنْ تأتِ ،أكرمْك .

حيث تنتهي جملة الشرط " فعل الشرط" بنغمة صاعدة ، دليلاً على عدم تمام الكلام ، فتمامه يحصل بجواب الشرط الذي ينتهي بنغمة هابطة [2]، دليلاً على اكتمال المبنى والمعنى معاً ، فالتنغيم –هنا– يؤدي دوراً مهمّاً يشبه دور علامات الترقيم في الكتابة غير أنّ التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة ،وقد أدرك العرب القدامى هذا الارتباط بين شطري جملة الشرط ، فأشاروا إلى ذلك بعلامة تؤدي هذا الدور ، وهي الفاء التي أوجبوا دخولها على جملة جواب الشرط ، وكأن الفاء تقوم مقام الفاصلة، ودلّت على تعلّق الشطرين بعضهما ببعض، وأنّ الشطر الثاني " الجواب " متعلق بالشطر الأول "الشرط"، وبهما معاً يتمّ المنطوق في بنيته ودلالته . [3]

وكذلك الجمل التي تحتوي على أدوات الربط الخاصة ،نحو :

–بينما أنا أمشي في الطريق، قابلت صديقي .

كلما سعَيْت في طريق الخير ، زادك الله فضلاً .

[1] –ينظر : البابيي ، أحمد ، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية ،ج1/ص 255 .

[2] –ينظر : بشر ،كمال ،علم الأصوات ،ص 541 .

[3] –ينظر : المرجع نفسه ، ص 542 .

ففي هذين المثالين ، يُنطق الشطر الأول من الجملة بنغمة صاعدة دليلاً على أنّ المعنى لم يتم ، فتمامه بالشطر الثاني الذي ينتهي بنغمة هابطة ، وهي دليل تمام الكلام في مبناه ومعناه ، وقد أُشير إلى ذلك في الكتابة بالفاصلة بعد الشطر الأول ، وبالنقطة بعد الثاني .[1]

ومن الوظائف النحوية للتنغيم التفريق بين أنواع الجمل ، من تقريرية ، واستفهامية ، وتعجبية ، وغيرها ، وبيان وظائفها النحوية من خلال التمييز بين أسلوب تركيبي وآخر ،فلكل جملة قالب تنغيمي خاص بها ، وهذا النمط يجب مراعاته في النطق بكل جملة من هذه الجمل ، وإلاّ عُدّ المتكلم لاحناً ، وكان شأنه شأن من رفع المفعول ونصب الفاعل ، وبذلك تتنوع القوالب التنغيمية بتعدد الجمل ، وتنوع الأساليب ما بين الخبر، والاستفهام ،والتأكيد ،والأمر، والنهي ،والإثبات ،والنفي، والقسم، والنداء ، وغيرها .[2]

الجمل التقريرية لها نمط خاص من التنغيم في نهاياتها ، يتمثل في النغمة الهابطة التي تدل على تمام المنطوق واكتماله ؛بينما الجمل الاستفهامية – وخاصة التي تستوجب الإجابة بـ(نعم أو لا)– تنتهي بنغمة صاعدة ، كما في قولنا : أكَتَبْتَ الواجبَ ؟ فيكون الجواب : نعم أو لا .[3]

فجملة الاستفهام هذه تنتهي بنغمة صاعدة ، وهذا يدل على أن الكلام لم يتمّ ، وتمامه بالإجابة (بصورتيها المذكورتين) التي تنتهي بنغمة هابطة ، فالتنغيم –هنا – هو الفيصل ، على الرغم من وجود (همزة الاستفهام) ، ودليل هذه الأهمية أنّ الجمل في العربية كثيراً ما تصنَّف جملاً استفهامية من هذا النمط ، ولو لم تُذكَر فيها أداة الاستفهام ، كما في قوله تعالى : ﴿ يٰأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾[4]، فجملة(تبتغي) جملة استفهامية حُذفَت منها همزة الاستفهام، وقد قرر جماعة من المفسرين أن التقدير :أتبتغي ،إشارة إلى أنّ الهمزة محذوفة ، وهي الدالة على الاستفهام

[1] ينظر : بشر ، كمال ، علم الأصوات ،ص 542–543 .

[2] – ينظر : البابيي ،أحمد ، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية ،ج1/ ص 261 . الموسوي ، مناف مهدي ، علم الأصوات اللغوية ، ص 134 .

[3] – ينظر : بشر ، كمال ، علم الأصوات ، ص 543 .

[4] – سورة التحريم ،الآية (1) .

، ويرى كمال بشر : أن هذا التقدير – وإنْ كان مقبولاً وصحيحاً من وجهة نظر التحليل التقليدي – لا يعني إلغاء دور التنغيم أو عدم أهميته في تفسير الكلام وتنميط تراكيبه إلى صنوفها وأجناسها النحوية والدلالية ، ويمكن أن يُدركه العارفون – في كل الأحوال – بطرائق أداء الكلام العربي أداء صحيحاً .[1]

يقول تمام حسان :" للتنغيم وظيفة نحوية في تحديد الإثبات والنفي في جملة لم تُستعمَل فيها أداة الاستفهام ،فقد تقول لمن يكلّمك ولا تراه :أنت محمد ،مقرراً ذلك أو مستفهماً عنه ، وتختلف طريقة رفع الصوت وخفضه في الإثبات عنها في الاستفهام ؛ولكن كل شيء فيما عدا التنغيم يبقى في المثال على ما هو عليه ؛ ترتيب الكلمات في الجملة ،والبناء في الكلمة الأولى ،والإعراب في الثانية ،وحركة الإعراب وحركة البناء ...كل ذلك إذ يبقى في الحالتين لا يصلح أساساً للتفريق بين الإثبات والاستفهام؛ ولكن التنغيم هو ناحية الخلاف الوحيدة بينهما ،وما دامت ناحية الخلاف هذه قادرة على أنْ توضّح كلا من المعنيين ،فللتنغيم إذًا وظيفة نحوية "[2] ؛ حيث يُستعمل لرفع الغموض النحوي ، وبواسطته يتمكّن السامع من تمييز المعنى المراد [3].

وفي العاميّة العربية توجّه الجمل الاستفهامية من النمط السابق دون استخدام أداة استفهام ،اكتفاء بالأداة الصوتية الفاعلية(التنغيم)، فيقولون دائماً : نجح أخوك ؟ كتبتَ الواجب ؟ وغيرها وتكون الإجابة : نعم أو لا ، فالجملة الاستفهامية خالية تماما من أداة الاستفهام ، ومع ذلك يحللها الدارسون ، ويدركها أهلها بسليقتهم جملةً استفهاميةً ذات نمط خاص ؛ وذلك بالاعتماد على لون موسيقاها المتمثل في التنغيم الصاعد في نهايتها [4] ،فهذه الجمل خالية من أداة الاستفهام اتخذت التنغيم استبدالاً لها ؛ فهو يؤدي دور بعض الأدوات عند حذفها .

وكذلك أسلوب التعجّب في العربية، فمهما قيل عن خواصه التركيبية والإعرابية، فلا مناص من العوْد إلى خواصه الصوتية، وفي قمتها التنغيم واللون الموسيقي الذي يقتضي تصنيفه أسلوب التعجب

[1] – ينظر : بشر، كمال ، علم الأصوات ، ص 543–544 .

[2] – حسان ،تمام ، مناهج البحث في اللغة ،ص 164 .

[3] ينظر : حسين ، وليد ، الظواهر الصوتية فوق التركيبية في العربية ، ص 657

[4] – ينظر : بشر، كمال ، علم الأصوات، ص 545 .

، فلأسلوب التعجب نمط خاص من التنغيم ينفرد به ، ولا يمكن فهمه أو استيعابه على وجهه الصحيح إلا بتحقيقه نطقاً وأداءً .[1]

وبذلك يكون التنغيم فيصلاً في تصنيف الجُمل وتحديد أبوابها ، فكثير من الأمثلة العربية القديمة التي وردت للنداء بدون حرف نداء ،أو للاستفهام بدون أداة استفهام ،كانت تعتمد على التنغيم للدلالة على المعنى المقصود ، ووجوده هو المميّز الوحيد بخلاف ما إذا ذُكرت أداة الاستفهام أو أداة النداء ، فمن ذلك مثال يستخدم للفكاهة أو التهكم : ماذا تقرأ شوقي .

فهذه الجملة تحتمل : ماذا تقرأ (يا) شوقي ؟ أو : ماذا تقرأ ؟ شوقي ؟

وهذه الجملة تُقال لشاعر يدّعي لنفسه شاعرية (شوقي) ، ولكل معنى من هذه المعاني نغمته الخاصة [2].

2-وظيفة انفعالية (تعبيرية) :

يُقصَد بها التعبير عن الأحاسيس والانفعالات الكامنة داخل نفس المتكلِّم من قبيل : الحزن ، والفرح ،والخوف، والشجاعة ، والتعجب ، والتعظيم ، والحسرة ،والغضب ،والشك ،واليقين ،وغيرها ، وهي ما يُطلَق عليها الأهداف السلوكية .[3]

والقرآن باعتباره كتاب وعظ وإقناع وقصص وغيرها، يتضمن هذه المعاني وغيرها ، فهو يوظف منحنيات أو نطاقات تنغيمية مختلفة تؤدي الوظيفةَ الانفعالية التعبيرية ، وهذه الوظيفة التعبيرية للتنغيم يبرزها تفاعل القارئ وتأثره عند تلاوة القرآن ، وذلك بكمال الترتيل أي : حُسن الأداء الذي يُحقّق التنغيم، حيث يجسّد ملامح الاستفهام والتعجب والإخبار وغيرها ، كما يعزّز حُسن الأداء المعنى دون مبالغة، وموضوعات النص القرآني لا يمكن قراءتها بتنغيم واحد ،إنما يُقرأ القرآن الكريم على منازله ؛إذ لكل

[1] – ينظر : المرجع نفسه ، ص 546

[2] –ينظر: عمر ، أحمد مختار ، دراسة الصوت اللغوي ، ص 367 .

[3] ينظر : البابيي ،أحمد ، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية ،1/ 255 .

منزلة نمطها التنغيمي الخاص بها ،فنمط التهديد ليس هو نمط التعظيم ،ولا التخويف وغيرها ؛ بل الأمر يقتضي التأمل والاستحضار والاتعاظ أي :التفاعل المزدوج الأدائي والسلوكي .[1]

التنغيم يُسهم في إيضاح الحالة النفسية للمتكلِّم ،فكلام الإنسان ونطقه في حالة الغضب –مثلاً– يختلف عن كلامه في حالة الفرح ،ومن ذلك : جملة (السلام عليكم) ، التي لها تنغيم يختلف عن التنغيم في حالة الغضب ، فقد تُنطق بتنغيم معين فتدلّ على التحية ، وبتنغيم ثانٍ فتدل على التهكم والسخرية ، وبتنغيم ثالث فتفصح عن شعور بالرضا أو الغضب [2].

فالتنغيم مرآة تعكس نفسية المتكلم ،ولكل حالة شعورية تنغيمها الخاص بها ، والعلاقة بين التنغيم ونفسية المتكلم هي علاقة مرآة عاكسة وشيء معكوس ، وعندما يتّحد الصوت مع الشعور نكون في غنى عن الإشارات اليدوية والجسمية .[3] فالتنغيم يهيئ للمتكلم على مستوى صوتي أنْ يُبدي ما يعمل في نفسه من مشاعر .

3-**الوظيفة الدلالية :**

ويُقصد بها التفريق بين دلالات السلسلة الكلامية الواحدة ،فالتنغيم يفرّق الجملة الاستفهامية– مثلا– الواحدة إلى معانٍ عديدة بتعدد الأنماط التنغيمية لها ، فالأسلوب الواحد يخرج إلى معانٍ عديدة ودلالات مختلفة ، والتنغيم هو العامل الوحيد المتحكّم في هذا التنوّع الدلالي مع ما يرافقه من قرائن حالية .[4]

ويظهر ذلك في حالات الرضا والقبول ، والغضب والتهكم والزجر ، والدعاء والتعجب والدهشة ، حيث تأتي الجملة بأنماط تنغيمية مختلفة ، ويظهر ذلك في العبارة العامية : لا يا شيخ ، فهي تُؤدَّى

[1] –ينظر: البابيي ،أحمد ، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية ،1/ 261،256 . بن فطة ، عبد القادر ،أصالة التنغيم في القرآن الكريم ،ص 72

[2] –ينظر : حجازي ، محمود فهمي ، مدخل إلى علم اللغة ، ص 82 . عبد الحكيم ، والي دادة ، النبر والتنغيم في اللغو العربية ،ص 62 نقلاً عن : مذكور ، عاطف ،علم اللغة العام ، ص 136 .

[3] –ينظر: زاهيد ، عبد الحميد ، علم الأصوات وعلم الموسيقى ، ص 42،39 .

[4] ينظر : البابيي ، أحمد ، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية ، 1/ 267 .

بعدة صور تنغيمية مختلفة ، وفقاً للحال و مقصودها التعبيري المعين، وفي هذه الحالة تأتي النغمات المختلفة مصحوبة بسمات صوتية أخرى ،كالنبر القوي لبعض المقاطع وتطويل الحركات مع بعض الإشارات الجسمية أيضاً ،كرفع اليد أو الحاجب ،أو الابتسام أو تقطيب الوجه ،أو رفع الصوت أو خفضه وغيرها ، وكل هذا يقود إلى الاختلاف أو التباين في المعنى السياقي لهذه العبارة حسب مقتضيات السياق أو المقام .[1]

كما تظهر الوظيفة الدلالية للتنغيم من خلال تنويع الأنماط التنغيمية للبنية التركيبية الواحدة، فتصنيفُ العلماء القدماء للاستفهام إلى أصناف عديدة – منها دلالات بمعنى الخبر وأخرى بمعنى الإنشاء ، فالتي بمعنى الخبر يدخل تحتها : النفي والإثبات والافتخار والتوبيخ والعتاب والتفجر والتكثير وغيرها، والتي بمعنى الإنشاء يدخل تحتها : الأمر والنهي والتحذير والتنبيه والترغيب والتمني والدعاء والتعجب وغيرها – يعني أنّ المعنى الذي يُؤدَّى بواسطة الجملة الاستفهامية يُؤدّونه أحيانا بالقالب التركيبي للجملة الخبرية ، وكذلك المعنى الذي يُؤدى بواسطة الجملة الخبرية يؤدُّونه أحياناً بالجملة الاستفهامية ، ولا ضير في ذلك ما دام التنغيم والأداء قرينة دالة ومُفصحة عن الغرض ، وشأنه في ذلك شأن العلامات الإعرابية ، فالإعراب يُتيح للكلمة حرية الحركة داخل الجملة ، فتتقدم تارة وتتأخر تارة أخرى دون إخلال بالمعنى ، وكذلك الأمر مع قرينة الأداء فهي تُتيح للمتكلم الخروج عن الأسلوب المعتاد في إبانة غرضه وتوضيح مقصوده إلى الأسلوب المقابل له لإفادة معنى آخر [2] .

فشَكْل الجملة قد يختلف عن وظيفتها فسؤال الأستاذ للطالب : لماذا لم تكتب الواجب يا محمد ؟ ليس سؤالاً للطالب على الرغم من شكله ،بل هو تأنيب للطالب على كسله [3].

[1] ينظر : بشر ، كمال ،علم الأصوات ، ص 539–540 .

[2] –ينظر : البابيي ، أحمد ، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية ،1/ 271–272 .

[3] – ينظر : الوعر ، مازن ، دراسات لسانية تطبيقية ، ص 197 .

المبحث الثاني :الفراء وكتابه (معاني القرآن) وأثر التنغيم في توجيه الدلالة في هذا الكتاب :

المطلب الأول : ترجمة للفرّاء .

هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي الدَّيْلَمي ،أبو زكريا ، سُميّ بالفرّاء ؛لأنه كان يفري الكلام ، وُلد بالكوفة سنة 144هـ ، وانتقل إلى بغداد، وكان أكثر مقامه فيها ،فإذا كان آخر السنة أتى الكوفة فأقام بها أربعين يوماً ،،الفراء نحوي وكان كوفيَّ المذهب ، من الطبقة الثالثة ، كان أبرع الكوفيين في علمهم بعد الكسائي ، صحب الكسائي وأخذ عنه وعليه اعتمد ، كان مع تقدمه في اللغة متكلّماً فقيهاً متديناً يميل إلى الاعتزال و عالماً بأيام العرب وأخبارها ، له الكثير من التصانيف ، منها : معاني القرآن ، الجمع والتثنية في القرآن ، المقصور والممدود ، المصادر في القرآن ، آلة الكتاب ، المذكر والمؤنث ،ما يلحن فيه العامة ، الأيام والليالي ، اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف ،الحدود ، مشكل اللغة ، وغيرها . تُوفي الفراء في طريق مكة سنة 207 هـ . [1]

المطلب الثاني : كتاب معاني القرآن .

بنى الفرّاء كتابه (معاني القرآن) على التفسير ؛ ولكنّه حشاه بكثير من التفسيرات اللغوية لشرح غريب القرآن ، كما أورد فيه الكثير من الآراء النحوية على المذهب الكوفي ، كما يُعدّ هذا الكتاب المصدرَ الذي صدرت عنه كتب النحو التي تحمل آراء الفراء النحوية ، وعن طريق هذا الكتاب نُقِل إلينا نحو الفراء ،أو نحو المدرسة الكوفية ؛ لأن أكثر ما للكوفيين من آراء إنما هي للفراء .[2]

---

[1] ينظر : السيوطي، جلال الدين ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ج2/ص333 . الزبيدي ،أبو بكر محمد ، طبقات النحويين واللغويين ،ص 131،133 . الذهبي ، شمس الدين محمد ، سير أعلام النبلاء ، ج10 / ص 118-119 . كحالة ، عمر رضا ، معجم المؤلفين ، ج4/ص 95-96 . الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ،ج 8/ص 145-146 . اللغوي ،أبو الطيب ، مراتب النحويين ، ص 105-106 .وللاستزادة ينظر : المخزومي ، مهدي ، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، ص119-141 .

[2] -ينظر : المخزومي ، مهدي ، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، ص 133 .

يقول محمود حجازي عن كتاب (معاني القرآن) : " أهم مصدر نتعرّف منه على آراء الفرّاء النحوية واللغوية هو كتابه (معاني القرآن) وهو أهم كتبه التي وصلت إلينا ، وكتاب معاني القرآن ليس في التفسير بالمعنى المباشر ، وإنما هو كتاب في اللغة اتخذ القرآن الكريم موضوعاً له " [1].

المطلب الثاني : أثر التنغيم في توجيه الدلالة عند الفراء في كتابه (معاني القرآن):

تنبّه الفرّاء إلى أهمية التنغيم في التحليل اللغوي للسياق المنطوق ، فالتنغيم يُزيل اللَّبس الدلالي بين الجُمل ، وبه يُدرَك الفرق بين المعاني ، فهو الفيصل في تصنيف الجُمل ،" فالتنغيم عنصر مكمّل للمنطوق لا ينفكّ عنه وأمارةُ صحّته ووفائه بالمعنى المقصود ، وفقاً لنوعيات التراكيب ونوعيات مقامات الكلام "[2] ، فالتنغيم يعمل على إبراز الخصائص المختلفة لبعض الأساليب والتراكيب التي تكون عناصرها غير واضحة أو محذوفة ، فهناك العديد من التراكيب الاستفهامية التي تكون مصدَّرة بأداة استفهام ويقع عليها التنغيم فيغيّر من دلالتها ، من ذلك : قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ من الدَّهْرِ ﴾ [3] ، يقول الفراء : " معناه : قد أتى على الإنسان حين من الدهر ، و(هل) قد تكون جحداً ، وتكون خبراً ، فهذا من الخبر ؛لأنك قد تقول : فهل وعظتك ؟ تقرّره بأنك قد أعطيته ووعظته " [4] .

وجود أداة الاستفهام في الجملة ليس – بالضرورة – دليلاً على أنَّها استفهامية(انشائية) ، وقد تنبه الفرّاء إلى هذا الأمر فبيّن أنَّها في مدلولها خبرية وإنْ كانت في شكلها الخطي الكتابي انشائية ، وفيصل الأمر في هذا هو التنغيم أو طريقة الأداء ، فجملة الاستفهام إذا نُطقت بنغمة مستوية دلَّت على التقرير والإخبار ، وبذلك نجد (الفرّاء) قد عوّل على التنغيم قرينة دالة ومفصِحة عن معنى الاستفهام في الآية .

[1] – حجازي ، محمود فهمي ، أسس علم اللغة العربية ، ص 89 .

[2] – بشر ، كمال ، علم الأصوات ، ص 547 .

[3] – سورة الإنسان ،الآية (1) .

[4] – الفراء ، أبو زكريا ، معاني القرآن ، ج3/ص 213 .

التنغيم يُتيح للمتكلِّم الخروج عن الأسلوب المعتاد في إبانة غرضه وتوضيح مقصوده إلى الأسلوب المقابل له لإفادة دلالة أخرى[1] ، وقد تنبه الفراء إلى هذا الأمر حيث عوّل على التنغيم في بيان أنَّ الاستفهام قد يخرج عن معناه الحقيقي ليُفيد دلالات أخرى ، ومن ذلك :

- قوله تعالى : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُون بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتاً ...﴾[2] ، قال الفراء : " على وجه التعجّب والتوبيخ ؛ لا على الاستفهام المحض ، أي : ويحكم كيف تكفرون ! وهو كقوله :﴿ فأيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾[3] " [4] ، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾[5] ، يقول الفرّاء : " عجّبهم من حمل الإبل أنها تحمل وقرها باركة ثم تنهض به ، وليس شيء من الدواب يطيق ذلك إلا البعير " [6] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَذْهَبْتُم طَيِّبَٰتِكُم ﴾[7] وقد ذكر الفرّاء أنَّ الآية قُرئت بغير استفهام وقُرئت بالاستفهام (أأذهبتم) ثم قال :" والعرب تستفهم بالتوبيخ ولا تستفهم فيقولون : ذهبْتَ ففعلت وفعلت، ويقولون : أذهبتَ ففعلت وفعلت ،وكل صواب " [8] .

لفظ الاستفهام إذا ضامه معنى التعجّب تحوّل خبراً ، وذلك كقولك : مررتُ برجلٍ أيّ رجل ! فأنت الآن تخبر بتناهي الرجل في الفضل ولست مستفهما عنه ، فأيّ بطبيعتها تفيد الاستفهام ؛ ولكن لما خالط الاستفهامَ التعجبُ تحوّل الاستفهام إلى الخبر ، والسر في ذلك هو التنغيم الذي قيلت فيه الجملة ، فتضام الاستفهام والتعجب لا وسيلة له ولا يمكن أنْ يحدث إلا بصورة تنغيمية هابطة .[9]

[1] – ينظر: البابيي ،أحمد ، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية ،ج2/ ص 272 .

[2] –سورة البقرة ،الآية (27).

[3] –سورة التكوير ،الآية (26) .

[4] – الفرّاء ، أبو زكريا ، معاني القرآن ،ج1 /ص23 .

[5] –سورة الغاشية ،الآية (17) .

[6] – الفراء أبو زكريا ، معاني القرآن ، ج3/ ص 258 .

[7] –سورة الأحقاف ، الآية (19)

[8] – الفراء ، أبو زكريا ، معاني القرآن، ج3 /ص 54 .

[9] –ينظر : عبد الرحمن ، عبد الكريم مجاهد ، الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني ، ص 78–79 .

وهذا ما حدث في الآيات السابقة ، فقد تضام الاستفهام والتعجب بصورة تنغيمية هابطة فتحوّل معنى الاستفهام إلى معنى الإخبار والتقرير في صورة تعجّب ، ولا يمكن أنْ يُفهَم هذا المعنى إلا من خلال نطقها بنغمة صوتية هابطة ، وقد تنبّه الفراء إلى ذلك فبيّن أنَّ الاستفهام في هذه الآيات ليست استفهاماً محضاً وإنما هو تعجّب أو توبيخ .

–قوله تعالى : ﴿يَأَبَانَا مَا نَبْغِي﴾[1] ، في بيان معنى هذه الآية قال الفراء : " ...كقولك في الكلام ماذا تَبغي ؟ ثم قال : ﴿ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا ﴾ كأنّهم طيّبوا بنفسه . و(ما) استفهام في موضع نصب . ويكون معناها جحداً كأنهم قالوا: لسنا نريد منك دراهم ..." [2] ، فقد جعل الفراء معنى(ما) في هذه الآية النفي أو الاستفهام ، وهناك فرق كبير بين النفي والاستفهام ، ولا يمكن أنْ يظهر المعنى ويتّضح إلا من خلال التنغيم وطريقة الأداء .

–قوله تعالى : ﴿...فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾[3] ، قال الفراء في بيان معنى هذه الآية : " إنْ شئت جعلت (ما) جحداً تريد : ليست تُغني عنهم النُّذر ، وإنْ شئت جعلتها في موضع (أيّ) كأنك قلت : فأيُّ شيء تغني النذر " [4] ، وفي هذه الآية أيضاً جعل الفراء (ما) محتملة لمعنيين : النفي والاستفهام ولم يرجّح أحد المعنيين على الآخر ، والذي يُحدّد ويُظهر معنى (ما) هو التنغيم وطريقة الأداء ، فهناك فرق كبير بين (النفي) وبين (الاستفهام) وكلاهما جائز –عند الفراء– في هذه الآية ، والذي يجوّزهما هو إمكانية قراءة الآية بطرق تنغيم مختلفة ، فقد تقرأ بنغمة هابطة فتفيد النفي ، وقد تقرأ بنغمة صاعدة فتفيد الاستفهام ، والاختلاف في طريقة الأداء يتبعه اختلاف في المعنى .

–قوله تعالى : ﴿...إِنْ أَتَٰكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَاراً مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾[5] ، قال الفراء في بيان معنى هذه الآية :" إنْ شئت جعلت (ماذا) استفهاماً محضاً على جهة التعجّب ؛كقوله: ويلهم ماذا أرادوا باستعجال

[1] –سورة يوسف ،الآية (65).
[2] –أبو زكريا ، الفراء ، معاني القرآن ، ج2 /ص 49 .
[3] – سورة القمر، الآية (5).
[4] – أبو زكريا ، الفراء ، معاني القرآن ،ج 3 /ص 104–105 .
[5] – سورة يونس ،الآية (50)

العذاب ؟! وإنْ شئت عظّمت أمر العذاب فقلت : بماذا استعجلوا ..."[1] ، في هذه الآية جعل الفراء أداة الاستفهام (ماذا) محتملة لمعنيين: إما معناها الأصلي الذي يُفهَم من معنى الأداة (ماذا) وهو معنى الاستفهام ، وإما أنْ تكون قد خرجت من المعنى الأصلي إلى معنى آخر وهو (التعجب) ، ولا يمكن أنْ يتأتّى هذا ويتجلّى المعنى إلا من خلال التنغيم .

هناك نوع من الجمل تكون خالية من أدوات الاستفهام وهي في حقيقتها جمل استفهامية ، ولا يتّضح معناها إلا من خلال التنغيم وطريقة الأداء ، فالتنغيم في هذه الجمل يكون دليلاً على ماهيتها ، ومن ذلك :

–قوله تعالى : ﴿ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾[2] ، يقول الفراء :" ...لولا ولوما لغتان في الخبر والاستفهام، فأما الخبر فقوله :﴿ لَوْلَا اَنْتُم لَكُنَّا مُّؤْمِنِينَ ﴾[3]...وأما الاستفهام فقوله : ﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ والمعنى –والله أعلم – هلّا أخرتني " [4] ، من خلال كلام الفراء يتضح أن هذه الآية معناها الاستفهام وإنْ كانت خالية من أداة الاستفهام ؛ ولكن المعنى يتجلّى ويتضح من خلال طريقة الأداء ، فهي تُؤدّى بنغمة صوتية صاعدة ، ونغمة القارئ هي التي تُنبه السامع أنّ هذه الجملة استفهامية ، فهذه الجملة خالية من أداة الاستفهام اتّخذت التنغيم استبدالاً لها ، والفرّاء بقوله أنّ معنى الآية (الاستفهام) –وإنْ كانت خالية من أداة الاستفهام – أراه قد فطن وتنبه إلى التنغيم وطريقة أداء هذه الآية ، ومثلها قوله تعالى : ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَآءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾[5] حيث قال الفرَّاء عند بيان معناها: "...فإذا رأيت بعدها اسماً واحداً مرفوعاً فهي بمعنى

[1] – الفراء ، أبو زكريا ، معاني القرآن ، ج1/ص 467 .
[2] –سورة المنافقون ،الآية (10) .
[3] – سورة سبأ، الآية (31) .
[4] –الفراء ، أبو زكريا ، معاني القرآن ، ج 2/ ص 84–85 .
[5] – سورة الأنعام ، الآية (44) .

(لولا) التي جوابها اللام ، وإذا لم ترَ بعدها اسماً فهي استفهام كقوله : ﴿فَلَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ...﴾[1]وقوله : ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ...﴾[2]وكذلك (لوما) فيها ما في (لولا): الاستفهام والخبر "[3].

التنغيم بأنماطه المختلفة عامل مهم في بيان ما إذا كان المنطوق مكتملاً في مبناه ومعناه أو غيرَ مكتمل ، ويظهر ذلك بكل وضوح في الجمل الشرطية ، حيث تنتهي جملة الشرط بنغمة صاعدة ، دليلاً على عدم تمام الكلام ، فتمامه يحصل بجملة جواب الشرط التي تنتهي بنغمة هابطة ، دليلاً على تمام الكلام في المبنى والمعنى معاً [4] ، و جُمل الشرط من حيث النطق تتكوّن من ركنين مع وجود سكتة أو وقفة بينهما ، على أنْ تكون نغمة السكتة صاعدة على أمل ترقّب كلام بعد هذا نغمته هابطة ، فطريقة تنغيم الركن الأول من أسلوب الشرط (فعل الشرط) هي التي تميّزه عن أسلوب الاستفهام [5] ، فإنْ حُذف رُكن من ركنيْ جملة الشرط – لدلالة المعنى عليه –تبيّن أنَّ في الجملة ركناً محذوفاً ، وذلك من خلال التنغيم وطريقة الأداء ، وقد تنبّه الفرّاء إلى ذلك ، ومنه :

–قوله تعالى: ﴿ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ...﴾[6] ، قال الفراء في بيان معنى الآية :" فافعلْ ،مضمرة ...وإنما تفعله العرب في كل موضع يُعرَف فيه معنى الجواب ... فإذا جاء مالا يُعرف جوابه إلا بظهوره ، كقولك للرجل : إنْ تقم تصبْ خيراً ، لابد في هذا من جواب ؛لأن معناه لا يُعرَف إذا طُرح " [7] ، فالفراء أدرك أنَّ المنطوق لم يتمَّ في بنيته ودلالته ، فالركن الأول من جملة الشرط يقرأ بنغمة صوتية صاعدة مع وجود سكتة ثم يقرأ الركن الثاني بنغمة صوتية هابطة لتدلّ على تمام المنطوق ، وهذا لم يحدث عند قراءة هذه الآية .

[1] –سورة المنافقون ، الآية (10) .

[2] –سورة الواقعة ، الآية (89) .

[3] –الفراء ،أبو زكريا ، معاني القرآن ،ج1/ص 334–335 .

[4] –ينظر : بشر ، كمال ، علم الأصوات ، 541–542 .

[5] – ينظر :عبد الحكيم ،والي دادة ، النبر والتنغيم في اللغة العربية ، ص 68 .

[6] – سورة الأنعام ، الآية (36).

[7] –الفراء ، أبو زكريا ، معاني القرآن ، ج1/ص 331–332 .

وقد تأتي جملة الشرط على هيئة جملة الأمر خالية من أدوات الشرط ، فيُفهَم منها معنى الشرط من خلال التنغيم وطريقة الأداء ، ومن ذلك :

-قوله تعالى : ﴿...فَاقْذِفِيه فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ﴾[1] ، يقول الفراء في بيان معنى هذه الآية : " ... هو جزاء أُخرِج مخرج الأمر ،كأنَّ البحر أُمِر ، وهو مثل قوله : ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ ﴾[2] المعنى .والله أعلم : اتبعوا سبيلنا نحمل عنكم خطاياكم . وكذلك وعدها الله : ألقيه في البحر يُلْقِهِ البحرُ بالساحل ... " [3] ، وقد تنبّه الفرّاء إلى ذلك حيث بيّن أنَّ الأسلوبَ أسلوبُ شرط ؛ولكنه أُخرج مُخرج الأمر ، فهو في ظاهره أمر ؛ولكنّ طريقة أدائه تُؤكّد أنه شرط ،فهو يؤدَّى بنغمة صوتية صاعدة فسكتة فنغمة صوتية هابطة ، وهذا تنغيم خاص بالشرط .

-قوله تعالى : ﴿أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾[4] ، قال الفراء في بيان معنى هذه الآية : " هو أمر في اللفظ وليس بأمر في المعنى ؛لأنه أخبرهم أنه لن يتقبل منهم ، وهو في الكلام بمنزلة (إنْ) في الجزاء ؛ فكأنك قلت : إنْ أنفقت طوعاً أو كرهاً فليس بمقبول منك . ومثله :﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[5] ليس بأمر ، وإنما هو على تأويل الجزاء ..." [6] ، فالفرّاء أدرك أنَّ الفعل الأمر في الآيتين خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر هو الشرط ، وذلك من خلال التنغيم، وقد تأتي جملة الأمر وتخرج عن معناها الحقيقي إلى معنى آخر، ويُفهَم ذلك من خلال التنغيم ، ومن ذلك :

-قوله تعالى : ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۝ وَأَشْرِكْهُ ...﴾[7] ، فقد قال الفراء في بيان معنى هذه الآية : " وقوله : (اشْدُدْ به) دعاء : (اشدد به) يا رب (أَزْرِي وأَشْرِكْهُ) يا رب في (أَمْرِي) .دعاء من موسى ..." [8] ، فقد

---

[1] -سورة طه ، الآية (38) .

[2] - سورة العنكبوت ، الآية (11) .

[3] - الفراء ، أبو زكريا ، معاني القرآن ، ج2 /ص 179 .

[4] - سورة التوبة ، الآية (53) .

[5] -سورة التوبة ، الآية (81) .

[6] - الفراء ،أبو زكريا ، معاني القرآن ، ج1 / ص 441 .

[7] -سورة طه ، الآية (31، 30).

[8] - الفراء ،أبو زكريا ، معاني القرآن ، ج 2/ ص 178 .

أدرك الفرّاء أنَّ فعليْ الأمر في هذه الآية (اشدد – أشرك) خرجا عن معناهما الحقيقي إلى معنى آخر وهو الدعاء ، وذلك من خلال التنغيم وطريقة الأداء .

–قوله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾[1] ، يقول الفراء في بيان معنى هذه الآية : " ...فمعناه – فيما نرى والله أعلم – : إنه توبيخ أي : ذق فإنك كريم كما زعمت .ولست كذلك ." [2]، فقد بيّن الفرّاء أنَّ الفعل الأمر (ذق) ليس على معناه الحقيقي ، وإنما خرج لمعنى آخر هو (التوبيخ) ، ولا يُمكن أنْ يُتبيَّن هذا المعنى إلا من خلال التنغيم ، وطريقة الأداء، وما قد يصاحبه من قرائن حالية (كتعبيرات الملامح و أعضاء الجسم) ، حيث يكون التنغيم والأداء دليلاً على الدلالات والمقاصد .

–قوله تعالى : ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً ﴾[3] ، يقول الفراء في بيان معنى هذه الآية : " ... فهذا تهدّد وليس بأمر محض ، وكذلك قوله : ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[4] وما أشبهه . " [5] ، ففي هذه الآيات بيّن الفرّاء أنَّ الفعل الأمر خرج لمعنى آخر غير معناه الحقيقي ، حيث جاء في هذه الآيات بمعنى التهديد ، وهذا لا يمكن أنْ يُدرَك إلا من خلال التنغيم وطريقة الأداء .

كما يخضع النداء للتنغيم في فهم معناه من حيث كونه نداءً حقيقياً أو خرج لمعنى آخر ،وقد تنبّه الفراء إلى ذلك في بيان معنى النداء في بعض الآيات ، ومن ذلك :

–قوله تعالى : ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يٰحَسْرَتَىٰ﴾[6] ، فقد ذكر الفرّاء أنَّ معنى النداء في هذه الآية هو الاستغاثة حيث قال : " وقوله: ﴿ يٰحَسْرَتَىٰ﴾ : يا ويلتاه مضاف إلى المتكلم يحوّل العرب الياء إلى الألف في كل كلام كان معناه الاستغاثة ، يخرج على لفظ الدعاء ..." [7] ، فقد بيّن الفراء أنَّ النداء في هذه الآية خرج

[1] – سورة الدخان ، الآية (46) .
[2] – الفراء ،أبو زكريا ، معاني القرآن ،ج3/ ص 44 .
[3] –سورة الزمر ، الآية (9) .
[4] –سورة النحل ،الآية (55) – وسورة الروم ،الآية (33) .
[5] – الفراء ، أبو زكريا ، معاني القرآن ، ج 2/ ص 416 .
[6] –سورة الزمر ، الآية (53) .
[7] – الفراء ،أبو زكريا ، معاني القرآن ، ج2/ ص 421

عن معناه الحقيق إلى معنى آخر هو (الاستغاثة) ، فلفظه لفظ النداء ومعناه الاستغاثة ، ويمكن إدراك هذا المعنى من خلال التنغيم وطريقة الأداء ، فأداؤه يكون بنغمة صوتية هابطة ؛ للدلالة على معنى الحزن والتحسّر .

كما قد يكون التنغيم فيصلاً في بيان دلالة حرف المعنى ، ومن ذلك (الهمزة) التي لها أكثر من معنى ، فقد وردت في قوله تعالى : ﴿أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ اللَّيْلِ ...﴾[1] ، حيث قال الفراء في بيان معناها : " ...يا مَنْ هو قانت .وهو وجه حسن ، العرب تدعو بألف كما يدعون بيَا .فيقولون : يا زيدُ أقبلْ ، و أَ زيدُ أقبلْ ...وقد تكون الألف استفهاما بتأويل أمْ لأن العرب قد تضع (أم) في موضع الألف إذا سبقها كلام ، قد وصفت من ذلك ما يكتفى به ، فيكون المعنى أَمنْ هو قانت كالأول الذي ذُكر بالنسيان والكفر ... فإنْ قال قائل فأين جواب ﴿أَمَنْ هُوَ﴾ فقد تبيّن في الكلام أنه مضمر ، قد جرى معناه في أوّل الكلمة ، إذ ذكر الضالّ ثم ذكر المهتدي بالاستفهام فهو دليل على أنه يريد : أهذا مثل هذا أو أهذا أفضل أم هذا ..." [2] ، فمن كلام الفراء يتبيّن أنّ (الهمزة) في هذه الآية يجوز فيها الوجهان أي : النداء والاستفهام ،وشتان ما بين النداء والاستفهام ، ولا يمكن الفصل في ذلك إلا من خلال التنغيم وطريقة الأداء .

وبذلك فالكثير من هذه الأساليب حافظت على بنياتها التركيبية ؛ ولكن دلالاتها تغيرت بتغيّر تنغيمها وطريقة أدائها ، حيث يكون التنغيم هو العنصر الوحيد الذي نتج عنه تباين هذه المعاني ؛لأنّ هذه الجمل لم تتعرّض لتغيّر في بنيتها ، ولم يُضف إليها أو يُستخرج منها شيء ،ولم يتغير فيها شيء إلا التنغيم وما قد يصاحبه من قرائن حالية ، فيقوم التنغيم برفع اللبس الدلالي بين الجُمل [3] ،وهذا ما تفطّن إليه الفراء في بيانه لمعاني الآيات في كتابه (معاني القرآن).

فالتنغيم أبرز ظاهرة صوتية لها أثر كبير في تغيّر دلالة التراكيب .

[1] – سورة الزمر ، الآية (10) .

[2] –الفراء ، أبو زكريا ، معاني القرآن ، ج 2 / 416–417 .

[3] – ينظر : البابيي ،أحمد ، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية ، ج1/ص 284–285 . حسان ، تمام ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 228 .

الخاتمة :

في نهاية هذا البحث الذي تناولت فيه **(التنغيم وأثره في توجيه الدلالة عند الفراء في كتابه (معاني القرآن)** توصلّت إلى عدد من النتائج ، منها :

1-التنغيم حقيقة صوتية في كثير من اللغات ، يرتبط بارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء نطق الكلام ، فهو يرتبط بالأداء النطقي وسياقه ، ويتوقّف عليه المعنى في كثير من السياقات .

2-لا يكون التنغيم في الجُمل إلا لمعنى ، فالجملة الواحدة يتغير معناها بتعدد صور نطقها وموسيقاها ، فهو يرتبط بأداء الجمل لا بتركيبها البنيوي .

3-تنبّه الفراء وتفطّن إلى دور التنغيم في تغير معنى الجمل وفي تصنيفها ،ودوره في التنوّع الدلالي للأسلوب الواحد -كالاستفهام مثلا- ففي كثير من الآيات يُجيز أكثر من وجه في إعراب الآية ، وفي بيان دلالتها ،وفي بيان نوع الأسلوب .

4-التنغيم يتيح للمتكلِّم الخروج عن الأسلوب المعتاد في إبانة غرضه وتوضيح مقصوده إلى الأسلوب المقابل له ؛لإفادة دلالة أخرى ، وقد تفطّن الفراء إلى ذلك.

قائمة المصادر والمراجع :

*القرآن الكريم برواية قالون عن نافع .

أولا : الكتب المصنّفة :

1-استيتيه ، سمير ، اللسانيات (المجال، والوظيفة ، والمنهج)، جدارا للكتاب العالمي ، عمّان ، عالم الكتب الحديث ،إربد ، ط2، 2008 .

2-البايبي، أحمد ، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية ، عالم الكتب الحديثة ،إربد-عمّان ، ط1، 2012.

3-بشر، كمال ، علم الأصوات ، دار غريب ،القاهرة ، د ط،2000 .

4- حجازي ، محمود فهمي ، أسس علم اللغة العربية، دار قباء، القاهرة ،د ط ،د ت .

5-حجازي ، محمود فهمي ، مدخل إلى علم اللغة ، دار الثقافة ، القاهرة ، د ط،2003.

6- حسان، تمام ، اللغة العربية معناها ومبناها ، عالم الكتب ،القاهرة ، ط6، 2009 .

7- حسان ، تمام ، مناهج البحث في اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 1990 .

8-الذهبي ، شمس الدين محمد ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق: محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1، 1982 .

9-زاهيد ، عبد الحميد ، علم الأصوات وعلم الموسيقى ، دار يافا العلمية ، عمّان ، ط1، 2010 .

10-الزبيدي، أبو بكر محمد ، طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، مصر، ط2، 1984 .

11-الزركلي، خير الدين ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت، ط15، 2002 .

12-السعران، محمود ، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط2، 1997.

13-السيوطي ، جلال الدين ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، ط1، 1965 .

14-عبد التواب ، رمضان ، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، مكتبة الخانجي ،القاهرة ، ط2، 1997 .

15- العطية ، خليل إبراهيم ، في البحث الصوتي عند العرب ، دار الجاحظ للنشر ، بغداد ، د ط ، 1983.

16- عمايري ، خليل أحمد ، في نحو اللغة وتراكيبها ،عالم المعرفة ، جدة ، ط1، 1984 .

17-عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي ،عالم الكتب، القاهرة ، د ط، 1997 .

18-الفراء ، أبو زكريا ، معاني القرآن ، عالم الكتب، بيروت ، ط3، 1983 .

19- الفيومي، أحمد عبد التواب، علم الأصوات اللغوية " ظواهر علم الأصوات في القرآن الكريم " ، دار الكتب المصرية ، د ط ، 2009 .

20-كحالة، عمر رضا ، معجم المؤلفين ، مؤسسة الرسالة ،بيروت، ط1، 1993 .

21-اللغوي ، أبو الطيب ، مراتب النحويين ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط2، 2009 .

22-المخزومي ، مهدي ، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، مكتبة مصطفى الحلبي ، مصر ، ط2 ، 1958 .

23- الموسوي ، مناف مهدي، علم الأصوات اللغوية ، عالم الكتب، بيروت ، ط1، 1998 .

24-نجا ، إبراهيم محمد ، التجويد والأصوات ، دار الكتب ، د م ، د ط ، 1972 .

25-الوعر، مازن ، دراسات لسانية تطبيقية ، دار طلاس ، دمشق ، ط1، 1989 .

ثانيا : البحوث العلمية .

1-حسين ، وليد ، الظواهر الصوتية فوق التركيبية في العربية ، مجلة دراسات ، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 36، العدد 3 ، 2009 .

2-عبد الحكيم ، والي دادة ، النبر والتنغيم في اللغة العربية (دراسة وصفية وظيفية) -رسالة ماجستير ،إشراف: عبد الجليل مرتاض ، 1997-1998 .

3-عبد الرحمن ، عبد الكريم مجاهد ، الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني ، معهد الإنماء العربي، لبنان ، العدد 26، المجلد 4 ، 1982 .

4- ابن فطة ،عبد القادر ، أصالة التنغيم في القرآن الكريم ، مجلة حوليات التراث ، العدد18 ، 2018 .